## الدرس السادس والستون: الرد على شبهة تعدد الزوجات في الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، تقول الصحفية الإنجليزية روز ماري هاو: " إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها.. فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة. فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش. أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة. فحين جعل الله للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته. فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة، وهو الإنجاب وتربية الأبناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك، وإذا اقتضت ظروفها ذلك.

ويصر البعض على أن الإسلام ظلم المرأة حين أباح للرجل أن يتزوج عليها، وفي هذا إضرار بمصلحتها، فالإسلام حين يبيح للرجل التعدد؛ فإنما يسيجه بجملة من الضوابط، وهو يشرعه لأمر واقعي ملموس، وهو حاجة بعض الأزواج إلى الزواج بغير زوجته لمرضها أو لعدم قدرتها على الإنجاب، أو لغير ذلك من الأسباب، فتزوج الزوج بأخرى أولى من طلاق الأولى ليتزوج بغيرها، وأولى أيضاً من العلاقة المحرمة خارج نطاق الزوجية، فالتعدد المشروع يغلق الباب أمام تعدد العشيقات غير المشروع الذي يجتاح المجتمعات الإنسانية التي تمنع تعدد الزوجات، واستبدلته بتعدد العشيقات، إن البشرية لا غناء لها عن تعدد الزوجات إذا شاءت أن تحيى حياة العفة والطهر (20).

جاء في (مجلة البيان) الجزء الثامن : كما أن الإسلام الذي أباح

للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع نسوة، اشترط توفر العدل بين الزوجات. وقد زعم أعداء الإسلام أن في ذلك إهانة للمرأة. وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور هي:

1 - الإسلام أباح التعدد ولم يأمر به أو يحث عليه، وفرقٌ بين إباحة الشيء والأمر به، فالإسلام أباح التعدد حلاً لكثير من المشاكل الاجتماعية التي تحصل من جرَّاء منع التعدد وتحريمه.

2 - اشتراط الإسلام العدل بين الزوجات في الإنفاق والمعاملة. فمن يتزوج بأكثر من واحدة ولم يعدل بين زوجاته كان آثماً في عمله كله. يقول تعالى:{**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**} [النساء: 3]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ مَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ** - [1].

3 - عندما تكون الزوجة عقيماً، فالتعدد حلٌ لمشكلتها مع زوجها الذي قد يرغب بإنجاب الأولاد، ولاشك أن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خيرٌ لها من أن يطلقها ويتزوج بأخرى.

4 - عندما تكون الزوجة مريضة أو غير قادرة على القيام بواجباتها تجاه زوجها إما لمرض جسمي أو غيره، فإن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خير لها من فراقها وهي على هذه الحالة.

5 - عندما تكون نسبة النساء في مجتمعٍ ما أكثر من نسبة الرجال، لحروبٍ طحنت الرجال أو لغيرها من الأسباب، فإنه لا يوجد حل لمشكلة ذلك المجتمع وحفظه من براثن الفساد والفتن سوى التعدد.

6 - وأخيراً فإن الإسلام قد جاء والتعدد كان نظاماً اجتماعياً معروفاً عند العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، وكان بدون تحديد لعدد معين، فجعله الإسلام لا يزيد على أربع زوجات واشترط العدل بينهن حفظاً لحقوقهن.

---

(1) (صحيح) أخرجه (حم د ن هـ) وصححه الألباني في ص.ج 6515.

معاشر الإخوة، تقول الزعيمة العالمية أني بيزانت: كثيرًا ما يرد على فكري أن المرأة في الإسلام أكثر حرية من غيره، فالإسلام يحمي حقوق المرأة أكثر من الأديان الأخرى التي تحظر تعدد الزوجات، وتعاليم الإسلام بالنسبة للمرأة أكثر عدالة، وأضمن لحريتها، فبينما لم تنل المرأة حق الملكية في إنكلترا إلا منذ عشرين سنة فقط، فإننا نجد أن الإسلام قد أثبت لها هذا الحق منذ اللحظة الأولى، وإن من الافتراء أن يقال: إن الإسلام يعتبر النساء مجردات من الروح.وتقول أيضا: متى وزنَّا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء أرجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره.

الإخوة الفضلاء، بخصوص تعدد زوجات النبي، قال الأستاذ سعيد أيوب في كتابه (زوجات النبي) فيما مختصره: كان تعدد الزوجات سنة جارية على امتداد المسيرة البشرية، لذا فإن الإسلام شرع التعدد وجعل له الضوابط والشروط.

ولقد كان التعدد بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة من وسائل تشريع القوانين فلقد خرجت أحاديث عن أمهات المؤمنين تبين حركة الرسول وسكونه في بيته، ورويت الأحاديث التي تبين قمة العدل والقسط بين النساء، وتبين حسن معاشرتهن ورعاية جانبهن، قال تعالى:{**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ الله وَالْحِكْمَةِ إِنَّ الله كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً (34)**} [الأحزاب:34].

والنبي صلى الله عليه وسلم تزوج ببعض هؤلاء الزوجات للقوة، وببعض هؤلاء استمالة للقلوب وتوقيا من بعض الشرور، وببعض هؤلاء ليقوم على أمرها بالإنفاق وإدارة المعاش وليكون سنة جارية بين المؤمنين في حفظ الأرامل والعجائز من المسكنة والضيعة، وببعضها لتثبيت حكم أو لهدم البدع الجارية بين الناس، كما في تزوجه بزينب بنت جحش رضي الله عنها، وقد كانت زوجة لزيد بن حارثة ☺ ثم طلقها زيد وقد كان يدعي زيد بن محمد على نحو التبني، وكانت زوجة المدعو ابنا

عندهم كزوجة الابن الصلبي لا يتزوج بها الأب، فأبطل الإسلام ذلك، ونلاحظ أنه تزوج أول ما تزوج بخديجة رضي الله عنها، وعاش معها مقتصرا بضعا وعشرين سنة، وبعد وفاتها تزوج بسودة بنت زمعة رضي الله عنها وقد توفي عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة، وكانت سودة رضي الله عنها مؤمنة مهاجرة، ولو رجعت إلى أهلها وهم يومئذ كفار لفتنوها كما فتنوا غيرها من المؤمنين والمؤمنات بالزجر والقتل والإكراه على الكفر.

وتزوج بزينب بنت خزيمة رضي الله عنها بعد قتل زوجها عبيدة بن الحارث يوم بدر شهيدا وكانت من السيدات الفاضلات في الجاهلية تدعى أم المساكين لكثرة برها للفقراء والمساكين، فصان رسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجها ماء وجهها.

وتزوج بأم سلمة رضي الله عنها، واسمها هند، وكانت من قبل زوجة عبد الله بن عبد الأسد أبي سلمة ☺، أول من هاجر إلى الحبشة توفي من أثر جرح أصابه يوم أحد، وكانت أم سلمة رضي الله عنها زاهدة فاضلة ذات دين ورأي، فلما توفي عنها زوجها وكانت ذات أيتام تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم.

وتزوج بجويرية رضي الله عنها واسمها برة بنت الحارث سيد بني المصطلق بعد وقعة بني المصطلق، وقد كان المسلمون أسروا منهم كثيرا من بيوتهم بالنساء والذراري، فتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بها، فقال المسلمون: هؤلاء أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أسرهم وأعتقوهم جميعا، فأسلم بنو المصطلق بذلك ولحقوا عن آخرهم بالمسلمين وكانوا جما غفيرا وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب وكان هذا العمل من الأسباب الرئيسية لتصدع جبهة المشركين، وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان يرتكز في حربه للنبي صلى الله عليه وسلم على هذا البطن من خزاعة بني المصطلق، فلما أسلموا تصدعت جبهة أبي سفيان، وفتح الطريق أمام الدعوة بعد ذلك وأرسلت الرسائل إلى القادة والملوك.

وتزوج بصفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها من نسل هارون

عليه السلام، وكانت في سبي خيبر فاصطفاها وأعتقها وتزوج بها، وأقيمت بهذا الزواج حجة دامغة على اليهود.

وتزوج أم حبيبة رضي الله عنها واسمها رملة بنت أبي سفيان وكانت زوجة عبيد الله بن جحش، وهاجر معها إلى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر عبيد الله هناك، وثبتت هي على الإسلام، وكان أبوها أبو سفيان في مكة يجمع الجموع على الإسلام يومئذ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحصنها.

وتزوج عائشة بنت أبي بكر وهى بكر، ولعل الحكمة من زواج رسول الله بعائشة هو إكرام صديقه ووزيره أبو بكر الصديق ☺، وتزوج بحفصة بنت عمر رضي الله عنها، وقد مات زوجها بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من بدر، ولعل الحكمة من زواج رسول الله بحفصة هو إكرام صديقه ووزيره عمر بن الخطاب ☺.

فمن قال: إن تعدد الزوجات لا يخلو من الانقياد لداعي الشهوة، فأين هذا الانقياد وهذا الداعي؟، فإنه بنى بالثيب قبل البكر، وبالعجوز قبل الفتاة الشابة، فقد بنى بسودة بنت زمعة وهي مسنة، وبنى بزينب بنت جحش وسنها يومئذ يقرب على الخمسين بعدما تزوج بمثل عائشة وأم حبيبة، بالإضافة إلى ذلك فلقد خير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بين التمتيع والسراح الجميل وهو الطلاق إن كن يردن الدنيا وزينتها، وبين الزهد في الدنيا إن كن يردن الله ورسوله والدار الآخرة، فهذا المعنى لا ينطبق على حال رجل مغرم بجمال النساء صاب إلى وصالهن، كما أن الكفار والمشركين والمنافقين لم يعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعدد زوجاته على الرغم من أنهم كانوا يتربصون به الدوائر، وعدم احتجاجهم يعود إلى معرفتهم بأنه صلى الله عليه وسلم له مختصات منعت عنها الأمة.

**(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)**

* * *